

# الشعر السياسي العربي.. هل ما زال موجودا؟

## الشاعر وقف دائما ضد السلطة الجائرة فأين اختفى اليوم



شعراء وقفوا مع شعوبهم ضد السياسة الجائرة

يصلحون. يكتب مطر في قصيدة تبديل الأدوار. رأت الدول الكبرى تبديل الأدوار/ فأقرت إعفاء الوالي/ واقتربت تعيين حمار/ ولدى توقيع الإقرار نهقت كل حميز الدنيا باستنكار/ إن حموريتنا تائب إن يلحقنا هذا العار.

### الأفول والانحادر

بعد هذا التاريخ الطويل من وجود الشعر السياسي خاصة ما كان ضد السلطة، فإننا نتساءل اليوم عن السبب في أفول نجم هذا الشعر، فقامات كابي القاسم الشابي والرفاعي وقباني ومطر ومظفر النواب، وتجربة أحمد فؤاد نجم في الشعر العامي والتي تعاون مع المغني الشيخ إمام أو محمود درويش ومارسيل خليفة كلها تجارب لم تنتر أو تتواصل.

### جل النقد والعاملين في مجال الشعر يرون أنه لا يمكن الفصل بين الشاعر وما ينتج من قصائد

بقيت الساحة فارغة إلا من بعض المحاولات الفردية هنا وهناك، فالنابيت أن الشعر السياسي الذي واجه السلطة وحاربها، قل في العقدين الأخيرين لأسباب شتى، فمشاهير هذا الشعر رحلوا عن الدنيا أو عن أوطانهم وعاشوا في مدن خارج الوطن العربي، مثل لندن التي عاش فيها نزار قباني وأحمد مطر وناجي العلي وغيرهم من المدن الأوروبية.

ولم يبق لمن بقي منهم إلا استذكار ماضيهم الناصر وسط عزلة العمر والجغرافيا. وربما كان لواقع وجود البرامج السياسية الحوارية العديدة التي تقدمها قنوات متخصصة أثر في هذا الشعر حيث ظهرت في هذه البرامج أقامات فكرية وإعلامية قامت بانتقاد السلطات العربية في الوطن العربي بشكل حاد وقاس وباشكال جدي أو ساخرة ومتهمكة، الأمر الذي كان يفعله سابقا شعراء السياسة.

وربما كان أفول نجم الشعر السياسي عاقدا أيضا إلى حجم التراجع الجمالي العام وتراجع الإقبال على الشعر والفنون من قبل المواطن العربي الذي تم سحقه بالألف محطات الكليبات والقنوات الدينية المزورة، وهذا ما أفقد الأجيال العربية الجديدة القدرة على تذوق هذا النمط الشعري الذي كان رائجا في فترة هامة من تاريخ العرب الحديث.

ينهاني ضميري.. من ترى يحكم بعدي هؤلاء الطيبين؟ وفي قصيدة أخرى بعنوان "المطلون"، يتهم قباني على كل الحكام العرب، وعلى النباكي الذي صنعه بعد هزيمة يونيو 1967، حيث يقول فيها:

حرب حزيران انتهت فكل حرب بعدها، ونحن طيبون/ أخبارنا جيدة وحالنا.. والحمد لله على أحسن ما يكون/ جمر النراجيل... على أحسن ما يكون/ وطاولات الزهر ما زالت على أحسن ما يكون/ والقمر المزروع في سمائنا مذكور الوجه على أحسن ما يكون/ وصوت فيروز من الفردوس يأتي: نحن راجعون/ تغلغل اليهود في ثيابنا، ونحن راجعون/ صاروا على مترين من أبوابنا، ونحن راجعون/ ناموا على فراشنا، ونحن راجعون/ وكل ما نملك أن نقوله: إننا إلى الله لراجعون.

في جانب آخر، وفي العراق، يصدر صوت عالي النبرة، قدم سجلات شهيرة في الشعر السياسي المقاوم للسلطة العربية بكل أشكالها. الشاعر أحمد مطر، الذي عمل مطولا من خلال صحيفة القيس الكويتية في ثمانينات القرن الماضي وكان يكتب في الصفحة الأولى قصائد تحمل روح التمرد والتهمك على الحاكم العربي والمجتمع العربي، وكان ينشرها تحت اسم لافتة.

وكان شريكه في الصحيفة حينها الفنان الفلسطيني ناجي العلي الذي كان يقدم رسوماته الناقدة في الصفحة الأخيرة. يكتب أحمد مطر في لافتته الأولى في صحيفة القيس عام 1980، قصيدة بعنوان قصة عباس تهكم فيها على صدق الحكام والمعتنين بحماية الوطن وما يقومون به حقيقة في سبيل ذلك.

عَبَّاسُ وَرَاءَ الْمُرَّاسِ/ يَعْطُ مُتَّبِعُهُ حَسَّاسُ/ مُنْذُ سَبَّحَ الْفَتْحُ يَمُحُ سَيْفُهُ/ وَيَمُحُ شَارِبُهُ أَيضًا.. مُنْتَظَرًا مُخْتَضِنًا دَفْعًا/ بَلَّغَ السَّارِقُ ضَفَّةً/ قَلْبَ عَبَّاسِ الْقُرْطَاسِ/ ضَرِبَ الْأَخْمَاسَ لِأَسْدَاسِ/ بَقِيَتْ ضَفَّةٌ/ لِمَنْ عَبَّاسُ نُحَيْرُهُ وَالْمُرَّاسُ/ وَمَنْ يَصْقَلُ سَيْفَهُ/ عَيْنَ اللَّصِّ الْبَيْتُ أَصْبَحَ ضَفَّةً/ قَدَّمَ عَبَّاسُ لَهُ الْقَهْوَةَ.. وَمَنْ يَصْقَلُ سَيْفَهُ/ صَرَخَتْ رُؤْيَتُهُ: عَبَّاسُ../ ضَيْقُ رَاوَدَنِي عَبَّاسُ/ أَبَاؤُكَ قَتَلُوا عَبَّاسُ/ فَمَنْ أَفْضَلُ يَا عَبَّاسُ/ عَبَّاسُ الْبَقْطِ الْحَسَّاسُ/ مَنْتَبِهٌ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا/ رُؤْيَتُهُ تَغْتَابُ النَّاسُ/ صَرَخَتْ رُؤْيَتُهُ: عَبَّاسُ/ الضَّيْفُ سَيَسْرُقُ نَعْتَنَا/ قَلْبَ عَبَّاسِ الْقُرْطَاسِ/ ضَرِبَ الْأَخْمَاسَ لِأَسْدَاسِ/ أَرْسَلَ بَيْتَهُ تَهْدِيدًا/ فَلَمَنْ يَصْقَلُ سَيْفَكَ يَا عَبَّاسُ/ لَوْ قَتَلْتُ الشَّدَّةَ/ أَصْقَلُ سَيْفَكَ يَا عَبَّاسُ.

ولم يخف أحمد مطر بذلك، بل سار أبعد فوصل تهكمه بالحكام إلى فضح ما تقوم به الدول الكبرى في سبيل تعيين عدد من الحكام الذين هم أدواتها في حكم شعوب المنطقة ولو كانوا لا

إلى رفض فكرة تصنيف الشعر إلى وطني وعاطفي وذاتي وغيره. الشاعر العراقي عدنان الصائغ الذي دخل معتزك الشعر السياسي يقول "لقد كانت فكرة الاستعانة بفن الخطاب المستتر وسيلة ناجعة في البداية، ووجدت فيها إغراء في المغامرة والتحدي والإبداع معا. خاصة وأن مقص الرقيب الحديدي لم يكن يترك لنا أقل فسحة لنظير برؤوسنا الضاجة خارج ما هو مسموح به".

وجل النقد والعاملين في مجال الشعر يرون أنه لا يمكن الفصل بين الشاعر وما ينتج له هذا الشعر ناجما عن ذهنية فكرية محددة لا بد أنها مبنية على توجهات معرفية ووجدانية ابتناها الشاعر من خلال مواقف حياتية وتوجهات نظر له فيها تتعلق بمواضيع عامة تقيم عليا في المجتمع من حرية ومعرفة وعمل ومساواة وغيرها.

### مناوشات شعرية

حصل الصدام بين الحكام والشعراء، وكانت السجون ساحات سجل بينهما، وكذلك الصحافة والمنابر الإعلامية، وتمتدح كل في حصته، هذا بعنسه وذاك بكلماته وبيدات المعركة التي لم تنته حتى يومنا هذا. أصوات شهيرة ارتفعت تقاوم سلطة الحاكم وتك حصونه شعرا، كان منهم مصطفى لطفي المنفلوطي الذي قال في هجاء حاكم مصر الخديوي عباس يوما: قدوم ولكن لا أقول سعيد/ وملك وإن طال المدى سيبيد/ رحلت ووجه الناس بالبشر باسم/ وعدت وحزن في القلوب شديد.

وفي مرحلة لاحقة كتب الشاعر نزار قباني قصيدته الشهيرة السيرة الذاتية لسيف عربي، وكانت تزيد عن المئة وخمسين بيتا، وراجت في كل أرجاء العالم العربي وتابعتها السياسي والأديب والمواطن العادي. هذه القصيدة كانت سببا في منع دخول نزار قباني عددا من البلدان العربية الأمر الذي استمر لسنوات. يقول فيها قباني بنبرة تحد كبيرة للحاكم العربي وهو يصف ما يقوم به أي واحد منهم في بلد:

إنها الناس/ أنا الأول والأعدل/ والأجمل، من بين جميع الحاكمين/ وأنا بدر اللجج، وبياض الياسينين/ وأنا مخترع المشنقة الأولى.. وخير المرسلين/ كلما فكرت أن اعتزل السلطة،

السياسية، فمعظم حكام الوطن العربي في العصر الحديث من الذين ساهموا وصنعوا أوضاعا سياسية واجتماعية قلقلة في بلدانهم، نتيجة الحكم الشمولي السلطوي، وهذا ما أوجد طيفا من المشكلات الاجتماعية المختلفة في الحكم والسلطة والحياة العامة والحرية، الأمر الذي دفع بالشعراء إلى الكتابة عن تلك المواجه بينهم وسخرية حيننا وسب وشم حيننا آخر، تلميحاً مرة وصراحة مرات.

كان طبيعيا، ألا يقف الجميع على مبدأ واحد من حيث تقبلهم لفكرة وجود الشعر السياسي، ما دفع بعض الشعراء والإدباء والمفكرين إلى رفضه. وبعضهم كان على رأي الشاعر السوري أدونيس الذي طلب في كتابه الشهير "زمن الشعر" ألا يكون الشعر سياسيا مؤدلجا وأن يكون ثمة فصل بين الشعر والسياسة، لأن الشعر يجب أن يكون خارج التاطير في نهج فكري محدد. ويحسب رايه فإن الشعر يجب أن يبقى ضمن إطار الشرط الفني الجمالي.

أما الشاعر الشهير نزار قباني الذي كتب الشعر السياسي وكانت له فيه حروب شهيرة، فيقول في حديث للصحافي فاروق جويده "ليتني ما عشت زمن القبح، وليتني ما كتبت شيئا في هجاء الواقع، السياسي العربي، إن أكثر الأشياء التي تسيء للشعر قريبة من السياسة، لأنه أحيانا يتحول إلى منشورات ودعوات أيديولوجية. كنت أتمنى أن أظل مغردا في عالم الحب، لأن شعر الحب لا يفنى، ولكنني أشك في أن تبقى قصائد السياسة.. اعترف بأنني نادم على شعري السياسي". وسار بعض النقاد على أن صناعة الشعر كعمل إبداعي في حد ذاته هو سياسة، كون الشاعر يفعل ذلك من خلال موقف حياتي محدد سيكون مبنيا على موقف سياسي محدد، وبذلك ذهبوا

حضر الشعر السياسي العربي الحديث في الحياة العربية بشكل فاعل على المستوى الأدبي والشعبي، ولعت فيه أشعار وأسما، وكثيرا ما تداول الناس في أواسط القرن العشرين وما تلاها أخبارا عن قصائد شعرية سياسية، كانت تنشر على صفحات الجرائد أو تلقى في المنابر، لتمر إلى جلسات البرلمانات وتنتهي بفترات اعتقال يقضيها الشعراء في سجون السلطة. فهل ما زال الشعر السياسي العربي على حاله.. في عصر الفضائيات والإنترنت والتفتت والضعف السياسي العربي؟

ومع وجود الفرق والطوائف والجماعات والنحل كان لكل منهم خطه الشعري السياسي الخاص به. واستمر ذلك في عصر الدولة العباسية وإن كان بزخم أقل. وظلت الأصوات الشعرية الهامة تصدح بين فترة وأخرى، كما قال المتنبي في عصر سياسي عربي مضطرب منتقدا هيمنة الأعمام على الحكام العرب واستلاب إرادتهم: وإنما الناس بالملوك/ وما تفلح عرب ملوكها عجم/ لا أدب عندهم ولا حسب/ ولا عهد لهم ولا دم.

### مواقف الشعراء

في العصر الحديث، ومع وجود حركات التحرر العربية ضد قوى الاحتلال، كان للشعر السياسي وجود هام، وكان أحد الأشكال التي تبنتها الشعوب في مقارعة قوى الاستعمار.

وظهرت أسماء شعرية عربية هامة على امتداد العالم العربي، مثل معروف الرصافي، حافظ إبراهيم، عمر أبو ريشة، أبو القاسم الشابي، أحمد شوقي، الأخطل الصغير، نزار قباني وغيرهم. وبالطبع كان للقضية الفلسطينية وضع خاص، لكونها الوحدة التي ظلت نازفة فظهر فيها العديد من الشعراء الكبار مثل إبراهيم طوقان، محمود درويش، سميح القاسم وغيرهم.

وإضافة إلى كل ذلك، وجد في العصر الحديث شعر سياسي لم يكن موجها ضد الآخر، قومي أو دينيا.. بل كان موجها المسموع في الصراع الفكري وحتى أوطانهم بعيدا عن انتماءاتهم

### نضال قوشحة

كاتب سوري



لم تائف العلاقة يوما بين السياسي والشعري، فهي ملتبسة وغامضة، وغالبا ما يتضادان ويتصارعان، وقليل ما يتقاربان، فغير التاريخ تجاذبت حياة الناس اختلافات وصراعات وصلت إلى حدود العنف النفسي والجسدي. ويحكم أن الأطراف المتحاربة تحمل رؤى متضاربة فإنها تتخذ في منظومات فكرية محددة، تتراشق من خلالها مع الآخر. ومع وجود الفنون وخاصة منها الشعر، سخر الإنسان إياه ليكون أحد الأسلحة التي يبين من خلالها رؤاه وفكره.

عربيا، يثبت لنا التاريخ الأدبي أن الشعر السياسي كان موجودا منذ أن عرف الشعر. ففي مرحلة الجاهلية كان الشعر لسان حال بعض القبائل المتحاربة التي تعتبره أداة للدفاع عن نفسها والتصدي للخصوم. لذلك كان الشاعر الفارس دريد بن الصمة يقول موضحا بكونه منتقدا إلى درجة المتاهي مع قبيلته سواء في الغي أو الرشد: وما أنا إلا من غزية إن غوت/ غويت وإن ترشد غزية أرشد.

### الشعر السياسي الحديث لم يكن موجها ضد الآخر، قوميًا أو دينيًا، بل كان موجها من الشعراء إلى حكام أوطانهم

ومع مرحلة صدر الإسلام صار الشعر السياسي أوضح وباتت له مكانة في الدفاع عن الإسلام ضد خصومه خاصة في وقت الحروب. وكانت للشعر السياسي في التاريخ العربي فقرة نوعية في فترة الدولة الأموية، والصراعات الدموية التي نشأت والتصدامات الفكرية العنيفة التي صدعت الوحدة السياسية العربية والإسلامية حينها. فذهب كل فريق إلى جلب شعراء يقفون معه ليكونوا صوته المسموع في الصراع الفكري وحتى الحربي العسكري.

الشعراء الذين كتبوا الشعر السياسي لم يبق لمن مالوا أحياء منهم إلا استذكار ماضيهم الأثر وسط عزلة العمر والجغرافيا

